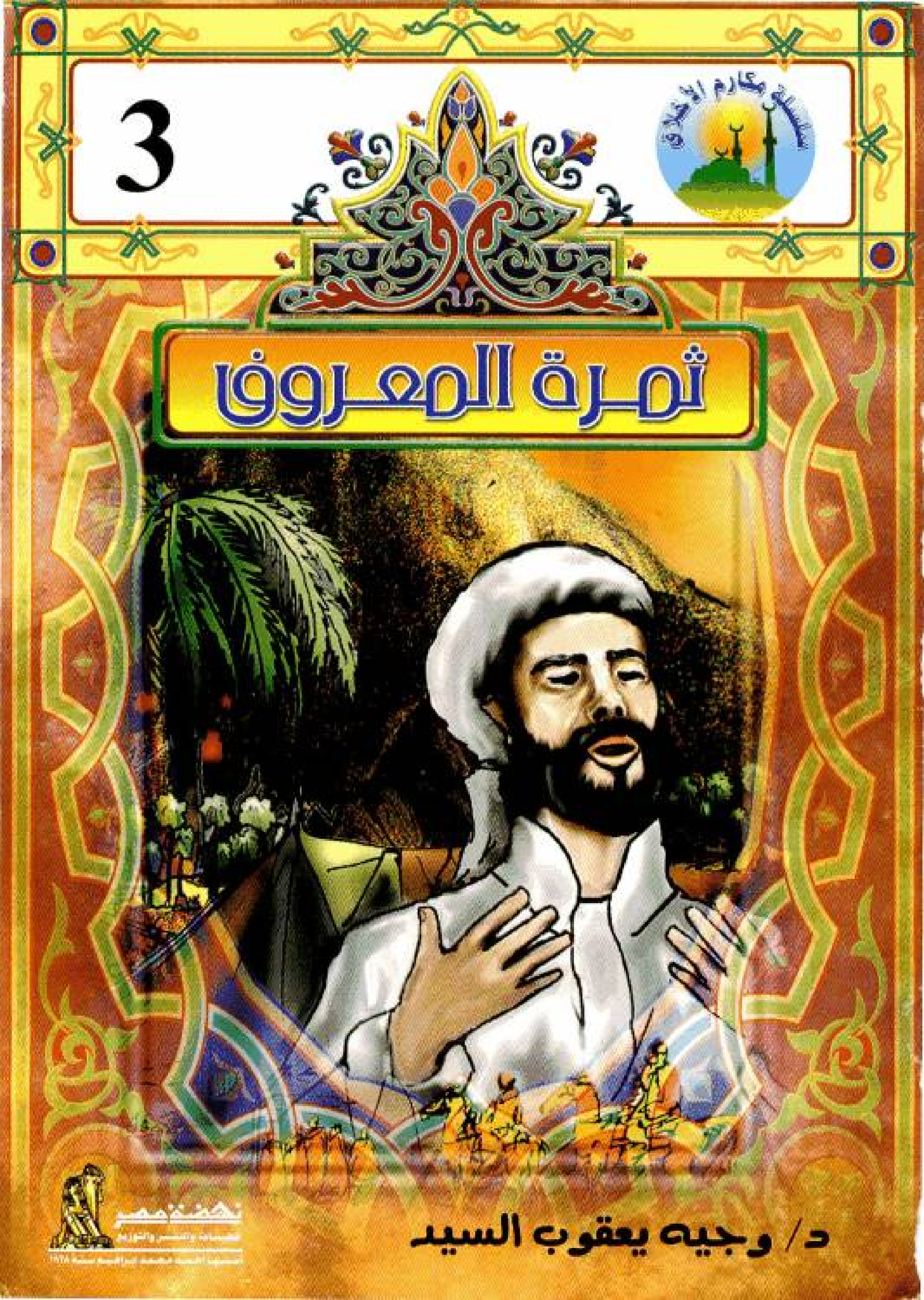

سلسلة مكارم الأخلاق
3
ثمرة المعروف
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
د/ وجيه يعقوب السيد



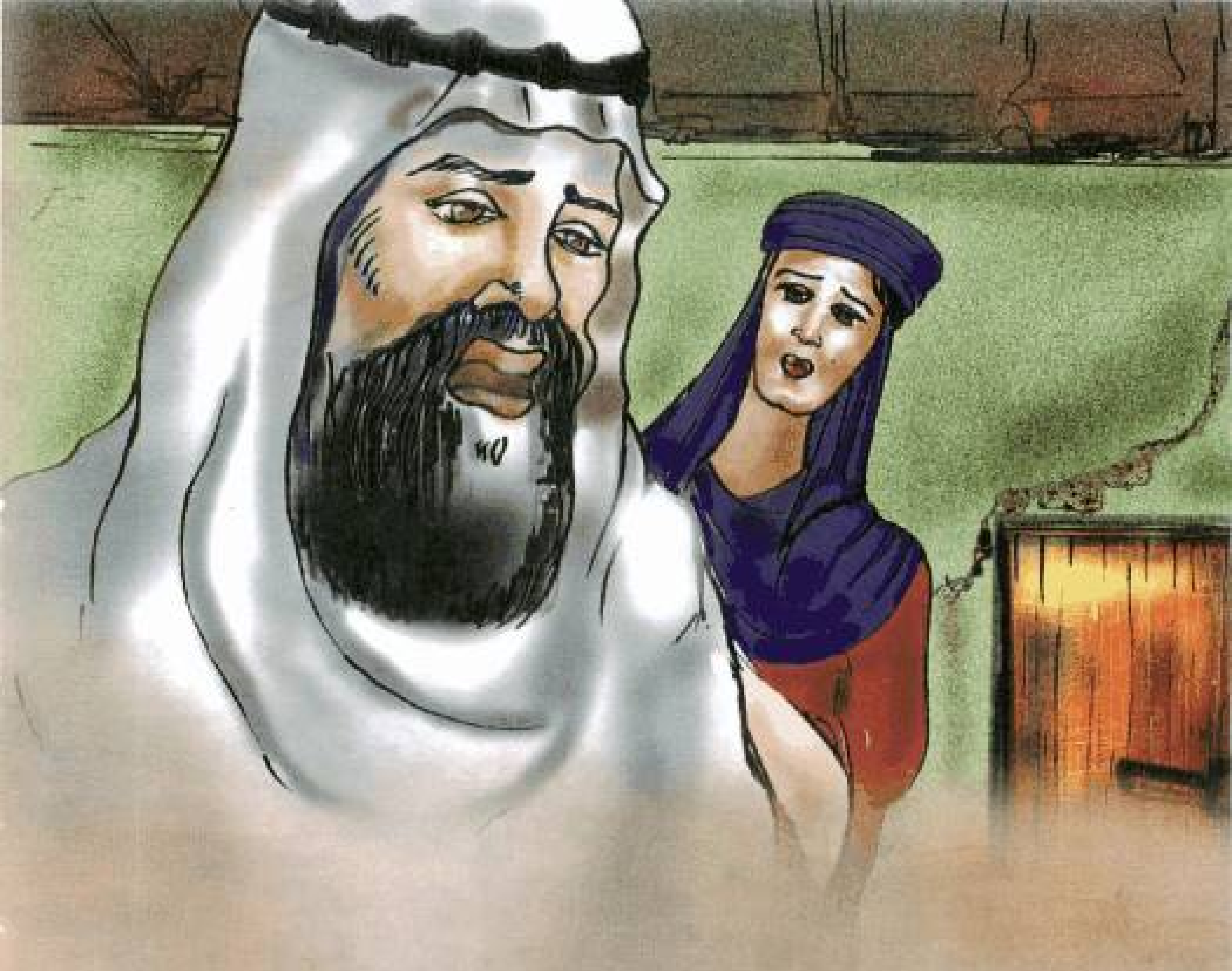
ثَمَرَةُ الْمَعْرُوفِ

قصة: د. وجيه يعقوب السيد
مدرس بكلية الألسن
رسوم: داليا عبد العال
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم



الترقيم الدولي: 9-1750-14-977 رقم الإيداع: 2002/1697 تاريخ النشر: يناير 2002

الإدارة العامة: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين ص.ب: 21 إمبابة ت: 3466434 - 3472864 فاكس: 02/3462576
المركز الرئيسي: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر ت: 8330287 - 8330289 فاكس: 02/8330296
مركز التوزيع: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: 5909827 - 5908895 - 5898085 فاكس: 02/5903395
فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية - رشدي ت: 5462090(03) www.nahdetmisr.com
فرع المنصورة: 47 ش عبد السلام عارف ت: 050-2259675 publishing@nahdetmisr.com



رَجَعَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ إِلَى بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ قَضَى وَقْتًا غَيْرَ قَصِيرٍ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي المَسْجِدِ، تَذَكَّرُوا خِلاَلَهُ الحَجَّ فَهَاجَتْ مَشَاعِرُهُ وَتَاقَتْ نَفْسُهُ لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، فَلَمَّا رَجَعَ وَجَدَ زَوْجَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ فِي انْتِظَارِهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمُ السَّلاَمَ وَجَلَسَ بَيْنَهُم، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ فِي دَهْشَةٍ:

مَا الَّذِي يُبْكِيكَ يَا حَاتِمُ ؟ فَأَجَابَ :

لَقَدْ تَاقَتْ نَفْسِي لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَلاَ أَقْدِرُ عَلَى مُغَالَبَةِ أَشْوَاقِي وَكِتْمَانِ حَنِينِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

وَتَعَجَّبَتْ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ فِي دَهْشَةٍ :

أَنْتَ رَجُلٌ فَقِيرٌ، وَأَبْنَاؤُكَ صِغَارٌ، فَمَنْ يَعُولُهُم إِنْ غِبْتَ عَنْهُم؟

فَمَسحَ حَاتِمٌ عَلَى رَأسِ أبْنَائِهِ وَقَالَ فِى اسْتِعْطَافٍ :

لَوْ أَذِنْتُم لأبِيكُم أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ رَبّهِ فِى هَذَا العَامِ حَاجًا، وَيَدعُو لَكُم، فَمَاذَا عَلَيْكُم لَو فَعلْتُم ؟

فَقَالَ الأَبْنَاءُ :

يَا أَبَانَا، أَنْتَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الحَالِ لاَ تَمْلِكُ شَيْئًا، وَنَحْنُ كَمَا تَرَى نَعِيشُ فِى فَاقَةٍ، فَكَيْفَ تُرِيدُ ذَلِكَ وَنَحْنُ عَلَى هَذَا الحَالِ ؟

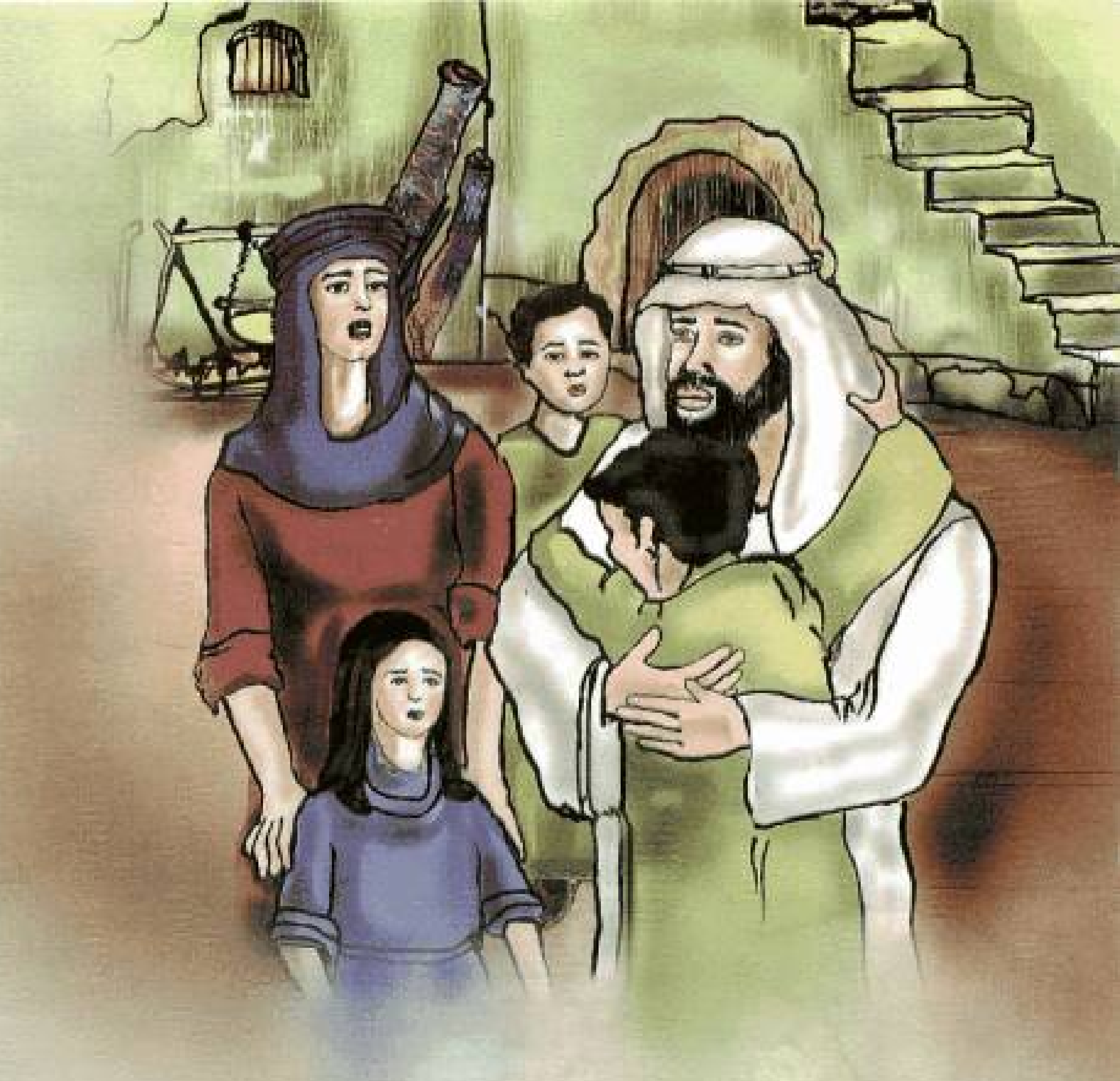
وَسَكَتَ حَاتِمٌ وَلَمْ يَجِدْ مَا يَقُولُهُ وَإِنْ كَانَتْ دُمُوعُهُ قَدِ انْهَمَرَتْ لِتُعَبّرَ عَمَّا يَجُولُ بِخَاطِرِهِ، وَنَظَرَتِ ابْنَتُهُ الصُّغْرَى إِلَى إِخْوَتِهَا وَقَالَتْ :

لِمَاذَا لاَ نَأْذَنُ لأَبِينَا فِى السَّفَرِ مَادَامَ يُرِيدُ ذَلِكَ ؟

فَقَالُوا جَمِيعًا :

وَمَنْ يُنْفِقُ عَلَيْنَا وَيَأْتِينَا بِالطَّعَامِ ؟





فَقَالَتِ الفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ :

دَعُوهُ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشَاءُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِرَازِقٍ، إِنَّمَا الرَّزَّاقُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ !

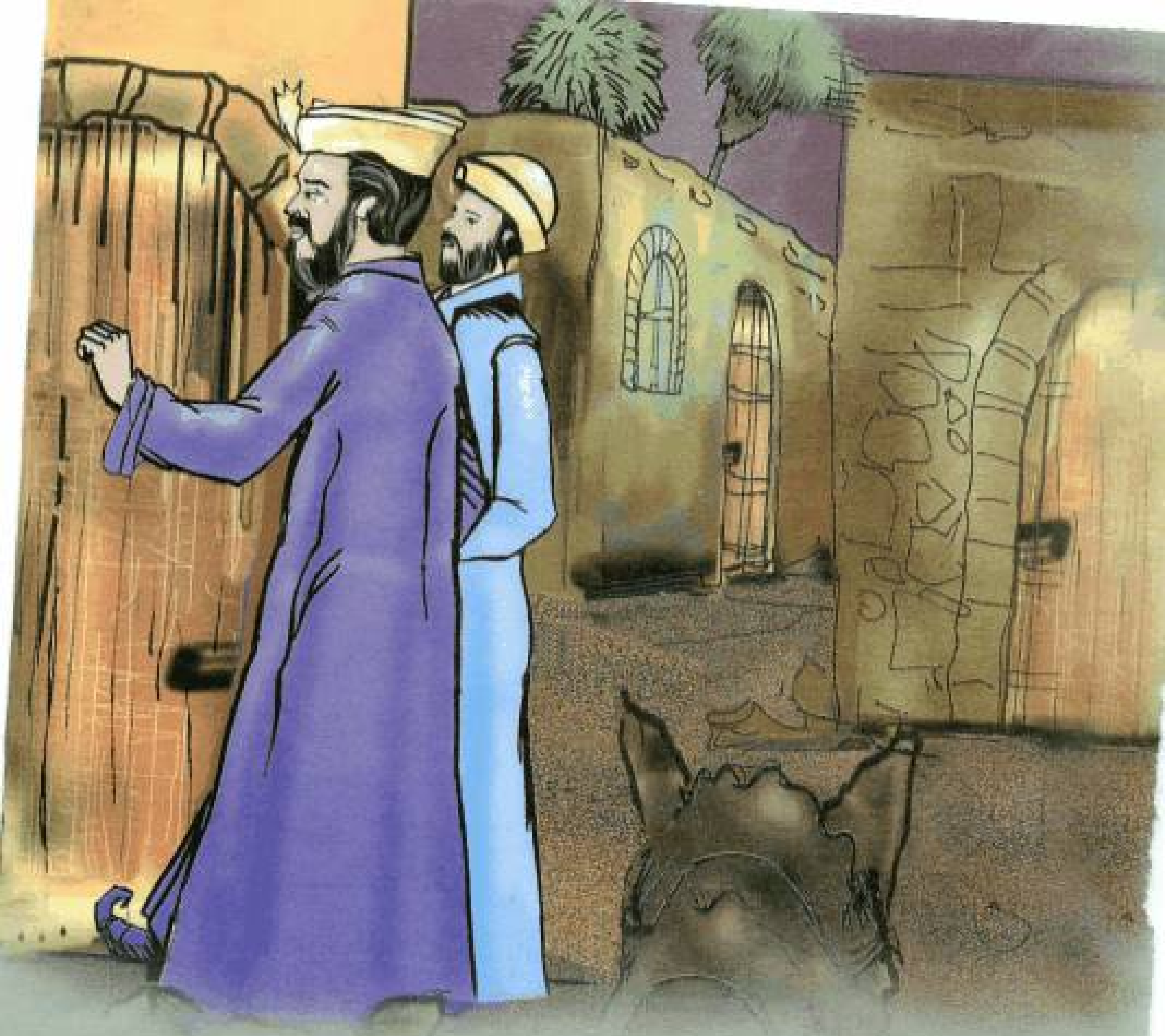
كَانَ رَدُّ الفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ مُقْنِعًا، وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَعْجَبَ الإِخْوَةَ فَقَالُوا لأَبِيهِم :

صَدَقَتْ واللَّهِ هَذِهِ الصَّغِيرَةُ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ يَا أَبَانَا .

وَتَهَلَّلَ وَجْهُ حَاتِمٍ مِنَ الفَرْحَةِ، فَاحْتَضَنَ أَبْنَاءَهُ وَمَسَحَ عَلَى رُءوسِهِم وَدَعَا لَهُم بِخَيرٍ، ثُمَّ حَزَمَ أَمْتِعَتَهُ وانطَلَقَ مِنْ فَوْرِهِ قَاصِدًا بَيْتَ اللَّهِ الحَرَامَ.

وَفِي الصَّبَاحِ، جَاءَ الجِيرَانُ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا بِذَهَابِ حَاتِمٍ وَقَالُوا لِزَوْجَتِهِ:

كَيْفَ أَذِنْتُم لَهُ بِالحَجِّ وأَنْتُم فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ ؟



فَقالَتِ الزَّوْجَةُ وَهِيَ تُشِيرُ إلى ابْنَتِها :
لَوْلا هٰذِهِ الصَّغِيرَةُ ماحَدَثَ ماحَدَثَ، فَلَوْ سَكَتَتْ لانْتَهى الأَمْرُ وَلَكانَ
أَبُوها الآنَ بَيْنَنا نَنْعَمُ بِقُرْبِهِ وَنَحْتَمِي بِحِماهُ.
وَلَمْ تَلْتَفِتِ البِنْتُ الصَّغِيرَةُ إلى أُمِّها مِنَ الخَجَلِ، فَرَفَعَتْ طَرْفَها إلى السَّماءِ
وَقالَتْ : إلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلايَ، عَوَّدْتَ القَوْمَ بِفَضْلِكَ، وَأَنَّكَ لا تُضَيِّعُهُم،
فَلا تُخَيِّبْهُم، وَلا تُخْجِلْنِي مَعَهُمْ !
وَما هِيَ إلاَّ لَحَظاتٌ حَتَّى سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ والأَبْناءُ طَرْقًا بِالْبابِ فَقالُوا:
مَنْ أَنْتَ ؟ وَماذا تُرِيدُ ؟
فَأَجابَهُمُ الصَّوْتُ قائِلاً : أَمِيرُ البَلْدَةِ يَسْتَسْقِيكُم !



فَتَعجَّبَتِ الزَّوْجَةُ وَتَعجَّبَ الأَبْنَاءُ لِذَلِكَ، وفَتحُوا البابَ وقَالُوا فِى دَهْشَةٍ :

أَمِيرُ البَلْدَةِ يَسْتَسْقِينَا نَحْنُ ؟

فَأَجَابَهُمْ :أَجَلْ، فَقدْ شَعرْتُ بِالظَّمأ فجأةً، وَلَمْ أَشْعُرْ إلاَّ وَأَنَا أَمامَ هَذَا البَيْتِ، وأَطْرقُ بَابَكُم !

وَعَلَى الفَوْرِ أَسْرَعتِ الزَّوْجَةُ وَأَحْضَرَتْ وِعاءً جَدِيدًا، وملأَتْهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ قَدَّمَتْهُ لِلأَمِيرِ وَقَالَتْ وَهِيَ تُناوِلُهُ الوِعَاءَ :

اعذُرُونَا، لَوْ كَانَ لَدَيْنَا ما هُوَ أَطْيَبُ مِنَ المَاءِ لَمَا بَخِلْنَا بِهِ!

ثُمَّ رَفعَتْ رَأْسهَا إِلَى السَّماءِ وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا :

إِلَهِى وسَيِّدِى، سُبْحَانَكَ ، بِالأَمْسِ بِتْنَا جِيَاعًا، والْيَوْمَ يَقِفُ الأَمِيرُ عَلَى بَابِنَا يسْتَسْقِينَا !

وَمَا إِنْ شَرِبَ الأَمِيرُ المَاءَ واسْتطابَهُ حَتَّى قَالَ فِى دَهْشَةٍ:

هَلْ هَذِهِ الدَّارُ لأَمِيرٍ مِنَ الأُمَرَاءِ ؟

فَقَالُوا لَهُ :لاَ واللَّه، بَلْ لِعَبْدٍ مِنْ عِبادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ اسْمُهُ حَاتِمُ الأَصَمُّ .

فَقَالَ الأَمِيرُ:لَقَدْ سَمِعْتُ بِهِ، فَأَيْنَ هُوَ الآنَ؟

فَقَالُوا: لَقَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ لِيُؤَدِّيَ فَرِيضَةَ الحَجِّ .

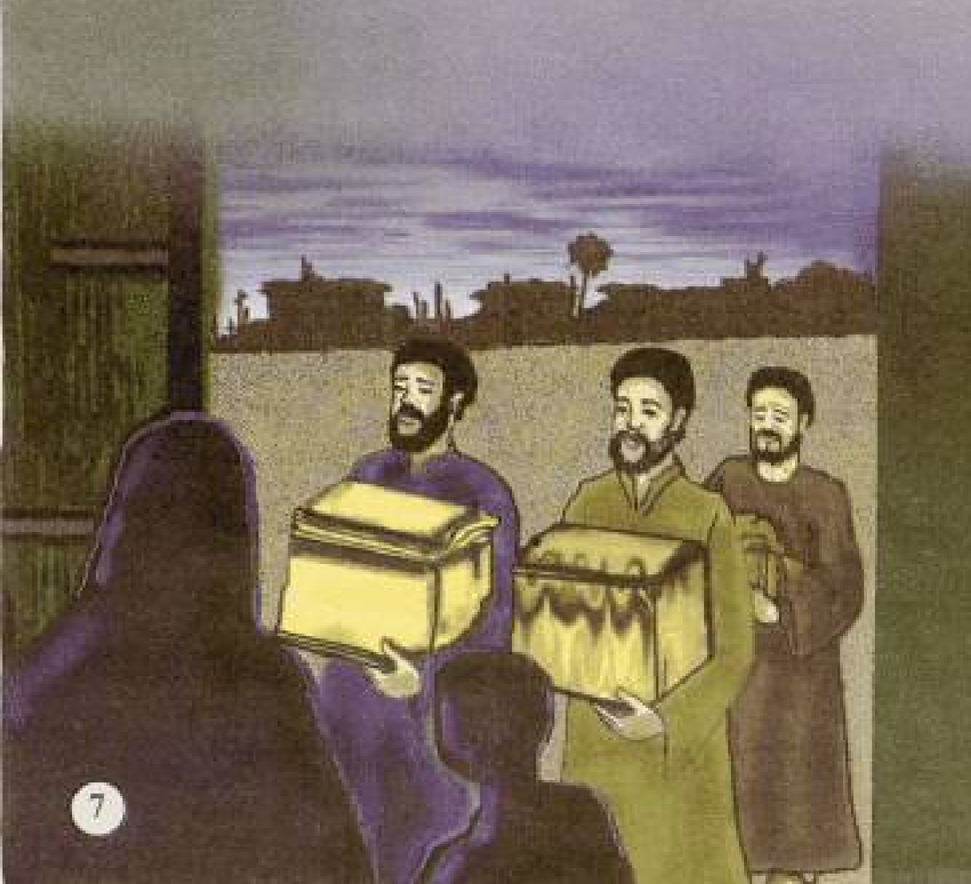
وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ الأَمِيرُ وَيَمْضِيَ فِي طَرِيقِهِ مَالَ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ وَقَالَ لَهُ فِي هَمْس:

يَا سَيِّدِي لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ أَحْرَمَ بِالحَجِّ وَسَافَرَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ وَلَمْ يَتْرُكْ لأَوْلاَدِهِ شَيْئًا، وَأَنَّ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءَ بَاتُوا لَيْلَتَهُمْ جِيَاعًا.

وَانْدَهَشَ الأَمِيرُ وَقَالَ لِوَزِيرِهِ فِي غَضَبٍ :

كَيْفَ لَمْ تُخْبِرْنِي بِذَلِكَ ؟

ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى قَصْرِهِ وَيُحْضِرَ مَالاً كَثِيرًا، وَطَعَامًا لِهَؤُلاَءِ الأَبْنَاءِ، فَذَهَبَ الوَزِيرُ وَأَحْضَرَ مَا أَمَرَهُ بِهِ الأَمِيرُ وَقَدَّمَهُ لأَبْنَاءِ حَاتِمٍ وَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلاَّ بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي أَحْسَنِ حَالٍ .





وَمَا إِنْ رَأَتِ الفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ ذَلِكَ حَتَّى انْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا، فَقَالَ لَهَا إِخْوَتُهَا فِي دَهْشَةٍ :

إِنَّ أَمْرَكِ لَعَجِيبٌ، كَانَ يَجِبُ أَنْ تَفْرَحِي بَدَلاً مِنْ أَنْ تَبْكِي، فَإِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ عَلَيْنَا وَرَزَقَنَا بِالْمَالِ الوَفِيرِ.

فَقَالَتِ الصَّغِيرَةُ وَهِيَ تُجَفِّفُ دُمُوعَهَا:

إِنَّمَا أَبْكِي دَهْشَةً مِنْ أَمْرِنَا، حَيْثُ بِتْنَا جِيَاعًا بِالأَمْسِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا مَخْلُوقٌ نَظْرَةً وَاحِدَةً فَأَغْنَانَا بَعْدَ فَقْرِنَا، فَكَيْفَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْنَا الخَالِقُ الكَرِيمُ؟

ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ:

اللَّهُمَّ انْظُرْ إِلَى أَبِينَا وَدَبِّرْهُ بِأَحْسَنِ التَّدْبِيرِ .

فَقَالَ الْجَمِيعُ فِي تَأَثُّرٍ:

أَجَلْ، اللَّهُمَّ لاَ تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ، اللَّهُمَّ انْظُرْ إِلَى أَبِينَا وَدَبِّرْهُ بِأَحْسَنِ تَدْبِيرٍ..

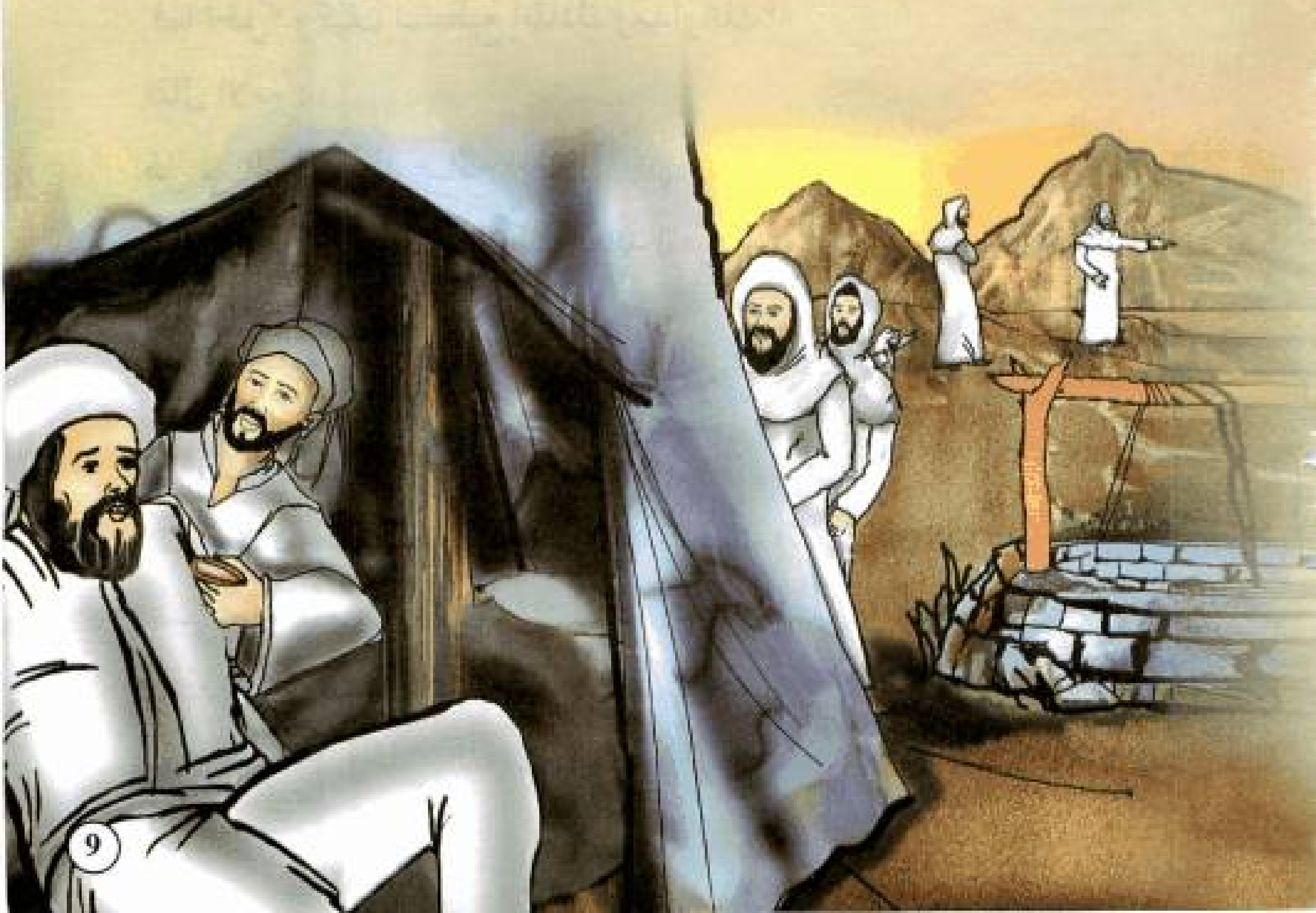
كَانَتِ الرِّحْلَةُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ شَاقَّةً، والطَّرِيقُ طَوِيلاً، وَفِي أَثْنَاءِ الرِّحْلَةِ أُصِيبَ أَمِيرُ الرَّكْبِ بِوَعْكَةٍ صِحِّيَّةٍ فَقَالَ لأَتْبَاعِهِ:

أَحْضِرُوا إِلَيَّ طَبِيبًا فِي الحَالِ، فَقَدِ اشْتَدَّ بِيَ الأَلَمُ. فَبَحَثُوا عَنْ طَبِيبٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَمْ يَجِدُوا فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ وَقَالُوا لَهُ:

بَحَثْنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَمْ نَجِدْ.. فَمَا الْعَمَلُ؟ هَلْ نَعُودُ بِكَ إِلَى دَارِكَ؟

فَأَجَابَهُم:

كَلاَّ، فَقَدْ عَقَدْتُ العَزْمَ عَلَى حَجِّ البَيْتِ، وَلَنْ أَعُودَ إِلَى دَارِي حَتَّى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَوْتِي وَهَلاَكِي.





فَسَأَلُوهُ فِي دَهْشَةٍ:

فَمَا الحَلُّ؟ وَكَيْفَ نَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَكَ وَمُدَاوَاتَكَ؟

فَقَالَ الأَمِيرُ:

هَلْ فِي الرَّكْبِ عَبْدٌ صَالِحٌ؟

فَقَالُوا: أَجَلْ.. إِنَّهُ حَاتِمٌ الأَصَمُّ العَابِدُ المَعْرُوفُ وَالزَّاهِدُ فِي مَتَاعِ الدُّنْيَا.

فَقَالَ الأَمِيرُ: إِلَيَّ بِهِ.

وَمَا هِيَ إِلاَّ لَحَظَاتٌ حَتَّى كَانَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَي الأَمِيرِ،

فَسَأَلَهُ فِي لَهْفَةٍ: مَاذَا تُرِيدُ يَا مَوْلاَيَ؟

فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدٌ صَالِحٌ، مُجَابُ الدَّعْوَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَنِي، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ، فَيَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِالشِّفَاءِ.

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ حَاتِمٌ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ضَعِيفٌ لاَ حَوْلَ لِي وَلاَ قُوَّةَ، وَنَحْنُ لاَ نَمْلِكُ سِوَى الدُّعَاءِ، وَعَلَى اللَّهِ الإِجَابَةُ..

ثُمَّ رَفَعَ حَاتِمٌ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَدَعَا لِلأَمِيرِ بِالشِّفَاءِ فِي خُشُوعٍ تَامٍّ، واسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَاءِ حَاتِمٍ، فَعُوفِيَ الأَمِيرُ مِنْ مَرَضِهِ وَزَالَ عَنْهُ الأَلَمُ.

وَمَنَحَ الأَمِيرُ حَاتِمًا الأَصَمَّ مَالاً كَثِيرًا وشَكَرَهُ عَلَى مَا قَامَ بِهِ، فَحَمِدَ حَاتِمٌ رَبَّهُ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا.

وَعِنْدَمَا ذَهَبَ حَاتِمٌ لِيَنَامَ، تَفَكَّرَ فِي حَالِ أَوْلَادِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

إِنَّ قَلْبِيَ مَشْغُولٌ عَلَى أَبْنَائِي، وَأَوَدُّ لَوْ أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَوْا لَيْلَتَهُمْ أَمْسِ !

وَعِنْدَمَا أَخْلَدَ حَاتِمٌ لِلنَّوْمِ رَأَى أَبْنَاءَهُ فِي خَيْرِ حَالٍ، وسَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ فِي المَنَامِ :

يَا حَاتِمُ، مَنْ أَصْلَحَ مُعَامَلَتَهُ مَعَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مُعَامَلَتَهُ مَعَهُ، فَأَكْثِرِ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .





وَقَامَ حَاتِمٌ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالاطْمِئْنَانِ، وَبَقِيَ حَتَّى أَدَّى مَناسِكَ الحَجِّ بِخُشُوعٍ واطْمِئْنَانٍ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ، رَجَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ وأَبْنَائِهِ، فَقَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُم، وحَكَى لَهُمْ مَا حَدَثَ لَهُ فِي أَثْنَاءِ الرِّحْلَةِ فَتَعَجَّبُوا مِنْ تَصَارِيفِ القَدَرِ وعِنَايَةِ اللَّهِ بِهِم.

وَعَانَقَ حَاتِمٌ ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ وَقَالَ وَهُوَ يَبْكِي:

صِغَارُ قَومٍ كِبَارُ قَومٍ آخَرِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَكْبَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلَى أَعْرَفِكُمْ بِهِ.

ثُمَّ أَوْصَاهُم قَائِلاً:

يَا أَبْنائِي، عَلَيْكُمْ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ والاتِّكَالِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، فَقَالَ الأَبْنَاءُ فِي ثِقَةٍ ويَقِينٍ:

حَقًّا يَا أَبَانَا، مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرٌ لَهُ مِنَ العِبَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّهُ وَجَمَعَ شَمْلَهُ!

لَقَدْ أَدْرَكَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ حَقِيقَةَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ؛ لِذَلِكَ كَافَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يُضَيِّعْهُ وَلَمْ يُضَيِّعْ أَوْلادَهُ، بَلْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ.



وَفى أَحْلَكِ المَوَاقِفِ الَّتى يَمُرُّ بِهَا المُسْلِمُونَ، كَانَ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَحُسْنُ تَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ، هُمَا الدَّافِعَ الأَكْبَرَ فى تَبْدِيدِ الخَوْفِ وَغَرْسِ السَّكِينَةِ.

فَالتَوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ المُؤْمِنِ الصَّادِقِ، حَيْثُ يُسَلِّمُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، مَعَ أَخْذِهِ بِالأَسْبَابِ، فَهُوَ يَكِدُّ وَيَشْقَى وَيَعْمَلُ وَيَجْتَهِدُ، ثُمَّ يَنْتَظِرُ التَّوْفِيقَ وَالنَّجَاحَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

فالتَوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ هُوَ خُلُقُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وأَقْوَى سِلاَحٍ حَمَلوه وَقْتَ الشِّدَّةِ وَوَاجَهُوا بِهِ الصِّعَابَ.. فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- حِينَ أُلْقِىَ فى النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ (ﷺ) حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

(رواه البخارى)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):

«لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».

(رواه الترمذى)

وَالمَعْنَى أَنَّها تَذْهَبُ فى أَوَّلِ النَّهَارِ ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ!

فَفِى بَدْرٍ الصُّغْرَى، عَقَدَ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم) العَزْمَ عَلَى التَّصَدِّى لأَبِى سُفْيَانَ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنَ الشَّامِ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ قِلَّةً، فَحَاوَلَ بَعْضُ المُنَافِقِينَ أَنْ يُثَبِّطُوا عَزِيمَتَهُم، وَيَمْنَعُوهُم مِنَ الجِهَادِ فى سَبِيلِ اللَّهِ، وَخَوَّفُوهُمْ بِكَثْرَةِ عَدَدِ المُشْرِكِينَ وَقَالُوا لَهُمْ:

إنَّ المُشركِينَ أقْوى مِنكُمْ، وَلَنْ تَقدِرُوا عَليهِمْ فَاخشَوْهُمْ وارْجِعُوا إلَى بُيُوتِكُمْ؛ لأَنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَكُم لاَ مَحَالَةَ.

وَمَا كَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلاَّ أَنْ ثَبَتُوا عَلى مَوْقِفِهِمْ، وأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِهِمْ وَقَالُوا فِي يَقِين:

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

وَأَحْسَنَ أَبُو سُفيانَ التَصرُّفَ وَهَرَبَ إلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَحَسَّ بِخُطُورَةِ المَوْقِفِ، وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ بِجُيُوشِهِ لِيلاَقِيَ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ الكُبْرَى، وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَ المُؤْمِنِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

(آل عمران: ١٧٣، ١٧٤)

قَالَ العُلَمَاءُ:

لَمَّا فَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، واعْتَمَدُوا بِقُلُوبِهِم عَلَيْهِ، أَعْطَاهُم مِنَ الجَزَاءِ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ: النِّعْمَةَ، والفَضْلَ، وصَرْفَ السُّوءِ، واتِّبَاعَ الرِّضَا. فَرَضَاهُمْ عَنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨